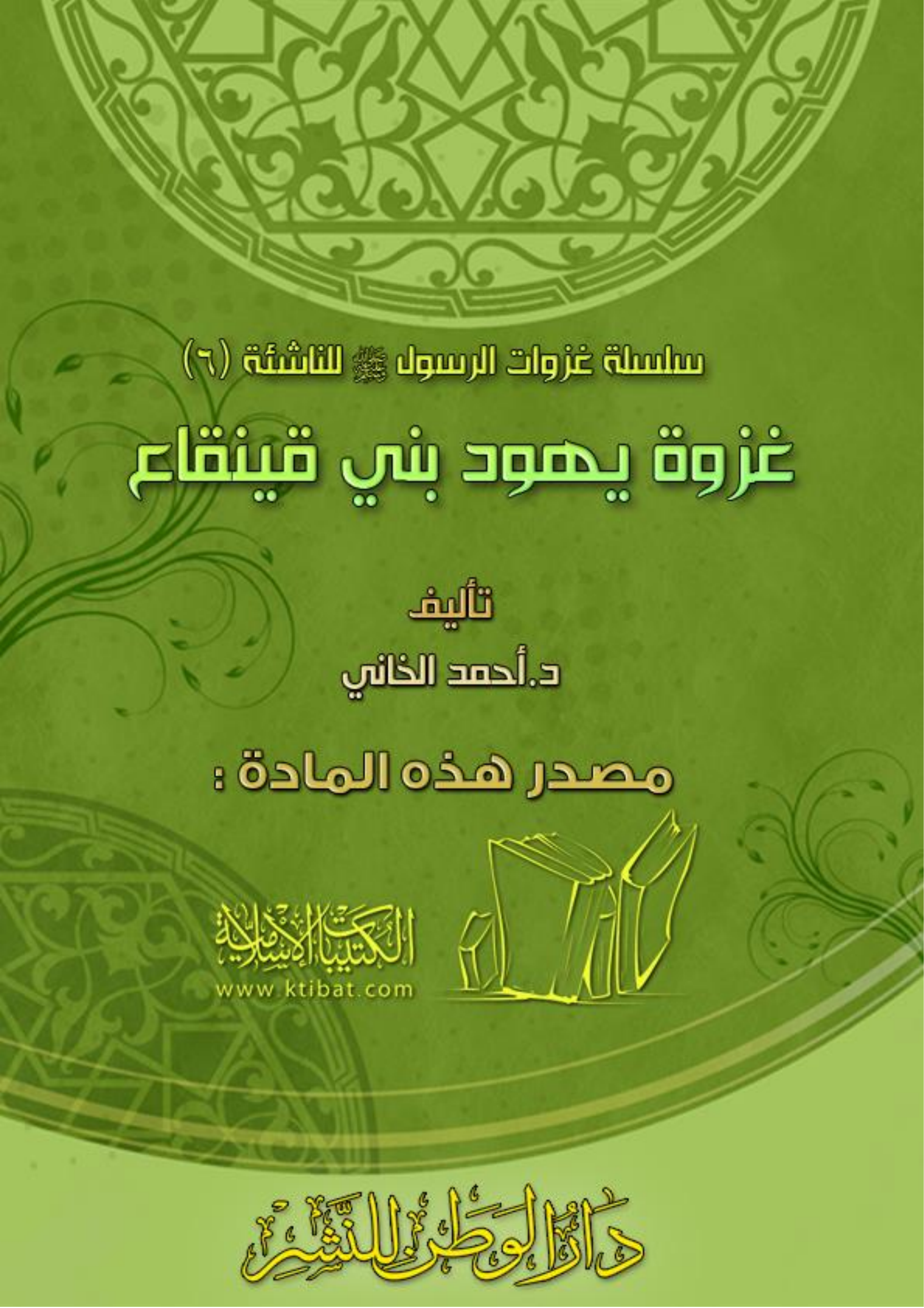


سلسلة غزوات الرسول ﷺ للناشئة (٦)
غزوة يهود بني قينقاع
تأليف
د.أحمد الخاني
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ناصر هذا الدين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله بطل الأبطال، ومربي الأبطال نبيِّ المرحمة نبي الملحمة ﷺ، أما بعد: فهذه سلسلة غزوات الرسول ﷺ تاليةٌ لما بدأناه في بدرٍ وأحدٍ والخندق..

في هذه الغزوات سنتعرف إن شاء الله إلى تصفية حساب المسلمين مع اليهود أعداء الله، وأعداء الأنبياء، وأعداء أنفسهم، كانوا في عهدٍ مع الرسول ﷺ فنقضوه، ونقض العهد من الصفات الأساسية في تكوين عقيدة اليهود.

اعتدوا على حرمة المرأة المسلمة، فاليهود أعداء الأخلاق ثم جاؤوا بالأحزاب ليستأصلوا الإسلام والمسلمين فأباد الله خضراءهم في المدينة المنورة.

وفي خيبر كان اليهود قد ملكوا السلاح المتطور في ذلك العصر من دباباتٍ ومصفحاتٍ ومنجنيقاتٍ وهي أدواتٌ لنقب الأسوار وتهديمها فجعلهم الله غنيمةً للمسلمين.

هؤلاء هم اليهود الذين يريدون منا نحن المسلمين السلام والتطبيع أي؛ أن يأمنوا في دولتهم العدوانية، ويشترطون التطبيع أي أن نتطبع بأخلاقهم؛ من الخسة والدناءة والكذب والغدر وأخلاق الخنازير.

ونواصل في هذه السلسلة معكم أحباءنا حتى نصل إلى فتح مكة المكرمة وغزوة حنينٍ، ومعها غزوة الطائف.

ولدي........... تعلَّم حبَّ النبي محمدٍ رسول الله ﷺ تسعد في الدنيا وتصبح عظيمًا من عظماء الإسلام.

أحمد الخاني

اليهود في المدينة المنورة

المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام، كان اسمها يثرب، سكنها اليهود وهم قبائل ثلاثٌ: يهود بني قينقاع، ويهود بني النضير، ويهود بني قريظة.

ثم سكن يثرب قبيلتنا الأوس والخزرج، وقد كانا في اليمن حول سدِّ مأرب، فلما تهدم السدُّ، رحلت الكثير من القبائل من اليمن وهي في جنوب الجزيرة العربية، رحلت إلى الشمال، سكنت قبلة خزاعة في مكة.

وقبيلة كندة في نجدٍ.

وقبيلة طيِّء في حائل.

وقبيلة الأزد في عمان وجبال عسيرٍ.

وقبيلة الغساسنة في الشام.

وقبيلة المناذرة في العراق.

وكان اليهود في يثرب قد تغلبوا على الأوس والخزرج في الناحية المالية، فكان اليهود مرابين يقرضون العربيَّ مالاً ويأخذون فائدته أضعافًا مضاعفةً، ولما يعجز العربيُّ عن سداد الأموال المتراكمة عليه من شدة جشع اليهود وطمعهم، كانوا يصادرون كلِّ ما يملك من غنمٍ أو جمالٍ أو حتى بيت الشِّعر الذي كان يسكنه.

وكان الأوس والخزرج يتَّحدون ضدَّ اليهود في حروبهم فكان اليهود يقولون لهم: سيخرج نبيٌّ سنؤمن به ونذبحكم معه ونفنيكم، ولما ظهر

الرسول ﷺ آمن به كثيرٌ من الأوس والخزرج، أما اليهود فلم يؤمن به واحدٌ منهم.

ولما هاجر الرسول ﷺ إلى يثرب سماها «المدينة المنورة» وسماها «طيبة». فكانت طيبة عاصمة الدولة الإسلامية الجديدة، وكان مما أنجزه الرسول ﷺ في المدينة.

1- بناء المسجد الشريف وحوله سكنٌ له ﷺ ولأهل بيته.

2- آخَى بين المهاجرين والأنصار.

3- كتب عهدًا مع اليهود أن لا يغدروا، وإذا اختلفوا في شيءٍ فيجب عليهم أن يأتوا إلى الرسول ﷺ ليحكم بينهم، ويجب عليهم أن يعينوا المسلمين بالمال والرجال إذا داهم المدينة جيشٌ مقاتل.

فنقض اليهود كلَّ هذه العهود، بل زادوا عليها خسةً ودناءةً وحقدًا على الإسلام والمسلمين وعلى رسول الله ﷺ.

وقد تمزقوا من الغيظ الذي كان يأكل قلوبهم، ولا سيما بعد أن نصر الله نبيه ﷺ وصحابته الكرام في غزوة بدر.

الرسول ﷺ يحذر يهود بني قينقاع

قال أصحاب السّير والتاريخ؛ منهم الواقديُّ وابن إسحاق، وابن هشامٍ، وابن كثيرٍ رحمهم الله تعالى:

إنَّ رسول الله ﷺ جمع يهود بني قينقاع في سوقهم ثم قال: «**يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريشٍ من النِّقمة وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبيٌّ مرسلٌ تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم**».

الجواب اللئيم:

كان جوابهم جواب اللئيم، يسكن الحقد والتشفي في كلِّ حرفٍ من حروف كلامهم.

قالوا: يا محمد هل تظنُّ أننا مثل قومك؟ لا يغرَّنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصةً، والله لئن حاربناك لتعلم أنّا نحن الأقوى. ولم يردَّ عليهم الرسول ﷺ بل إن الله تعالى هو الذي رد عليهم قرآنًا يتلى في بني قينقاع.

قال ابن إسحاق: عن ابن عباسٍ قال: ما نزل هؤلاء الآيات إلا في بني قينقاع ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا**﴾ يعني أصحاب بدرٍ ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ***

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [آل عمرن: 12،13].

فكان بنو قينقاع أول من نقض العهد من اليهود.

الشرف اليهودي:

في العصر الحديث عندما جرت مفاوضات السلام بين المسلمين واليهود اشترط اليهود تطبيع العلاقات معهم، والمفاوضون المسلمون يعرفون أخلاق اليهود من خلال دراستهم لسيرة رسول الله ﷺ وعلاقة المسلمين مع اليهود فعرفوا السيرة ودرسوا فقه السيرة وفيها الحادثة التالية:

قال ابن هشامٍ: كان من أمر بني قينقاع أن امرأةً من العرب قدمت بجلبٍ لها فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغٍ منهم فجعلوا يريدونها أن تكشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشف رجلها فضحكوا فصاحت فوثب رجلٌ من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديًّا، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، ووقع الشرُّ بين المسلمين وبين بني قينقاع.

إذًا الموضوع موضوع شرفٍ، واليهود ليس لهم شرفٌ، فالمرأة المسلمة تتحجب؛ تغطي وجهها.

ولقد قتل رجلان؛ واحدٌ من المسلمين وآخر من اليهود، من أجل أن تكشف المرأة المسلمة وجهها فلم تفعل، فلو عرفت المرأة المسلمة اليوم قيمة حجابها لما هان عليها كشف وجهها وقد جرت في سبيل ذلك الدماء، وقامت من أجل حجابها الحروب.

وحاصر الرسول ﷺ بني قينقاع

المسلم غيورٌ على عرضه، قتل ذلك الرجل حفاظًا على شرف امرأةٍ مسلمةٍ، هذا هو الإسلام ولا خير فيمن لا يغار على عرض غيره كما يغار على عرضه، والرسول ﷺ أغير العالمين. والله تعالى أغير من الرسول ﷺ فلما سمع ﷺ بما فعل يهود بني قينقاع جهز جيشًا وحاصرهم خمس عشرة ليلةً حتى نزلوا على حكمه. فتدخل المنافق الأكبر عبد الله بن أبي سلولٍ لصالح اليهود فحقن دماءهم فأنزل الله عزَّ وجلَّ قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: 51].

من لكعب بن الأشرف؟

ظلَّ الصحابة متحرقين إلى الانتقام من اليهود بعد حادثة تلك المرأة المسلمة.

فأراد ﷺ أن يزيل عثرةً من طريق الإسلام والمسلمين فقال: «**من لكعب بن الأشرف فإنَّه آذى الله ورسوله؟**» فقام محمد بن مسلمة

فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: «**نعم**». قال: فأذن لي أن أقول شيئًا — حتى لا يحسَّ ذلك اليهوديُّ بالخطة — فأذن له.

فذهب محمد بن مسلمة إلى كعبٍ فقال: إن هذا الرجل — يعني الرسول ﷺ – قد سألنا صدقةً وإنه قد عنّانا، وإني قد أتيتك لآخذ منك سلفةً.

قال كعبٌ: وأيضًا لتملُّنَّ منه قال: إنّا قد اتبعناه، فلا نحبُّ أن ندعه حتى ننظر إلى أيِّ شيءٍ يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا قال: نعم أرهنوني نساءكم.

وكأن محمد بن مسلمة لم يسمع الكلام فسأله: أي شيءٍ تريد؟

قال كعبٌ: أرهنوني نساءكم؛ ولنتصور الموقف؛ يهوديٌّ يريد النساء المسلمات أن يجعلهنَّ عنده في داره، رهنًا للمال حتى يؤدى.

ولذلك انتفض محمد بن مسلمة تعجبًا من هذا الطلب فأعاد عليه السؤال: أيَّ شيءٍ تريد؟ ولم يستحيي اليهوديُّ من طلبه فأعاده وكرره. ولو أن كعب بن الأشرف طلب منه أن يرهن نساءه عند أيِّ إنسانٍ لفعل، بل إنَّ اليهود يدفعون نساءهم دفعًا للإفساد في الأرض.

المهم أن محمد بن مسلمة رضي الله عنه قال لكعبٍ: نرهنك السلاح، فرضي وواعده أن يأتيه ليلًا ثم تركه وعاد إلى أصحابه.

فحدث نفسه وهو يسير: كعب بن الأشرف الذي ذهب إلى مكة يحرض المشركين على قتال رسول الله ﷺ؟

كعبٌ يبكي قتلى المشركين في بدر؟ كعبٌ يذكر النساء المسلمات بسوء؟ كعبٌ؟ كعبٌ؟ إن سيفي ظامئٌ، لأسقيَّنه من دمك يا كعب.

ثم عاد إلى كعبٍ ومعه سلكان بن سلامة أبو نائلة وهو أخو كعبٍ من الرضاعة فدعاهم إلى الحصن ومعه عبّاد بن بشرٍ، والحارث بن أوسٍ، وأبو عبس بن جبيرٍ، فقدَّموا سلكان بن سلامة، فتحدث معه وتناشدا شعرًا.

ثم قالوا: هل لك يا بن الأشرف أن نتماشى فتحدث؟ قال: إن شئتم، فخرجوا يتماشون، ثم إن سلكان أدخل يده في شعر كعبٍ وشمَّ يده فقال: ما رأيت عطرًا أطيب من هذا، ثم مشى وبعدها عاد لمثلها حتى اطمأنَّ ثم عاد لمثلها فأخذ بجانبي رأسه وقال: اضربوا عدو الله، فقتلوه، فخاف اليهود فلم يعد في المدينة المنورة يهوديٌّ إلا وهو خائفٌ على نفسه، وقال ﷺ: «**من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه**» فوثب حويِّصة بن مسعودٍ الأوسيُّ على رجلٍ من تجار يهود يقال له ابن سنينة فقلته.

الشعر في المعركة:

قال حسان بن ثابتٍ رضي الله عنه في مقتل كعب بن الأشرف:

لله درُّ عصـــــــابةٍ لاقيـــــــتهم يا ابن الحقيق وأنت يا بن الأشرف

يســرون بالبـيض الخفـاف إلـيكم مرحًـا كأســدٍ في عــرينٍ مغــرف

حـــتى أتـــوكم في محـــل بلادكـــم فســقوكم حتفًــا ببـــيضٍ ذفَّــف

مستنصــــرين لنصـــر ديـــن نبـــيهم مستصــغرين لكـــل أمــرٍ مجحــف

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمدٍ رسول الله الذي علمنا الغَيرة على العِرض والشرف، وعلى أصحابه الغيورين الطاهرين الميامين.